حادث القاطرة في يريم.. ما الأسباب؟ ولِمَ الشائعات؟

المصابون يروون لـ«الثورة» كيف مرت لحظة الفاجعة:

مجموعة عابرين وبائعين داهمهم كوم حديد بلا رحمة

السائق فقد السيطرة بسبب خلل فني والسوق كان مرمى الهدف

تحقيق/عبدالوهاب مزارعة

«»، لم يكن حادث القاطرة في يريم هو الأول من نوعه بعموم مقاييس الحوادث المرورية، لكنه من بين قلة من الحوادث التي تتسم بمفاجأة الضحايا وهول آلة السحق التي داهمت الأبرياء الآمنين في دقيقة عدم انتباه! منذ أن رأيت صور ضحايا الحادث واستمعت الى تفاصيل «ماجرى» بسرعة الريح وأنا أتخيل نفسي واحداً من أبرياء تلك الدقيقة القاتلة بعنف وحدّة أشد من قاسية.. اتخيل موقف الأحباب والأعزاء فتجرحني غصة وتترقرق في عيني دمعة. تُرى كم أب فُقد.. طعنه حد حديد أو كُسر عظمه على حين غرة. كم أخ وابن وحبيب وعزيز.. وكم.

استأذن القُراء الدخول في تفاصيل الألم لندرك جميعنا ونتعلم.. نعتبر وننتبه.. نتذكر دائماً أن على الاسفلت موت يسابق الريح ويصل الى ما بعد الأرصفة.

انقذني ومات

في مستشفى ذمار العام الواقع على مفترق ثمانية خطوط سير طويلة أجهش محمد علي الرعيني بالبكاء وهو يقص كيف خطف الموت روح صديقه يحيى ملاّح. قال وهو يتأوه من ألم كسور في الحوض والأضلاع «صاحبي انقذني ومات».

كان محمد (بائع قات في سوق القرعي شمال يريم حيث وقع الحادث) قد باع لأحد الزبائن العابرين نصف ما معه وأبقى النصف الآخر له ولأخته التي ستحل ضيفة عليه يومها. ظهر يحيى يريد مقاسمته. وبينما الأول يحكي ظرفه اليومي ذاك إذ بصاحبه يشده من قميصه حتى اقتطع ولم ينتبه محمد إلا وإحدى قطع الحديد البارزة من مقطورة الموت تقسم جسم صاحبه من المنتصف وتضربه هو الآخر مخلفة مجموعة كسور. غاب محمد عن الوعي ولم يفق إلا في المستشفى وخلد يحيى لنومه الطويل.

سائلة

فاطمة ناصر الأخت الصغرى لخمس بنات كُنّ يسألن العابرين على السوق صدقة لا يتبعها أذى. لكن الأذى أصر على المرور في سوق من مئات الأسواق المتخندقة على كل الطرق الطويلة بين المدن في بلاد الطيبين والبسطاء. فاطمة لم تكسر ساقها اليمنى القاطرة فالمذكورة ذات النسب الحديدي العريق أدت مهمات أشد هولاً. المسكينة أو سعيدة الحظ فاطمة دفعتها سيارة من ذات الدرجة الثانية أو الثالثة في الدفع من القاطرة فرمت بها السيارة على حجر وادى الارتطام الى كسر ساقها.

عرفات أحمد علي صلاح الطالب في كلية التربية بذمار كان عائداً من كليته الى يريم في باص أجرة متوسط السعة ويجلس على مقعد في منتصف الباص شاهد الغول الحديدي من بعيد وهو يسحق السيارات الصغيرة بما فيها من بشر. وقبل أن تستقر المقطورة التي انفصلت عن الرأس ورمت بالحاوية بعد ذلك لتستقر فوق إحدى السيارات (هاي لوكس) وتطحن أحد البشر فيها ضربت (المقطورة) الباص الذي كان فيه عرفات ومجموعة من الركاب فاصيب بكسور في اليد اليسرى (أعلى العضد) وجروح في الرأس والذقن. غاب عرفات عن الوعي مثل كثيرين ولم يفق إلاّ في مستوصف يحصب لينقل بعد ذلك الى مستشفى ذمار.

حالات خطرة

تقرير الحالات في مستشفى ذمار يذكر وصول ١٢ حالة من ضحايا هذا الحادث المفجع بين الساعة ١١,٣٠ صباحاً والواحدة ظهراً من يوم الثلاثاء الماضي. ويقول الدكتور/عبدالله الحداد رئيس الأطباء المدير الفني بالمستشفى أن اثنين من المسعفين خرجا لأن اصابتهما طفيفة. والعشرة المتبقين خمسة منهم ادخلوا الى العناية المركزة أجريت لاثنين منهم عمليات جراحية لكن اربعة من الخمسة توفوا تباعا بمن فيهم الذين اجريت لهم عمليات.. احدهما بعد ساعة من الوصول والآخر في اليوم التالي (الاربعاء) ثم توفي بعد ذلك اثنان وانضموا جميعهم لموتى الحادث ليصل عددهم الى ثمانية. ويرقد في قسم الرجال أربعة أشخاص وفتاة خامسة في قسم النساء وجميعهم حالاتهم مستقرة.

أما في مستوصف يحصب بيريم فالمتبقون من الجرحى خمسة التقينا بثلاثة منهم. واجمالاً من بين الجرحى وعددهم ٣٦ شخصاً غادر المستشفيات عموماً عشرون شخصاً لأن اصاباتهم طفيفة وبقي عدد الجرحى ١١ شخصا.

عامرية يريم

في المستوصف وبين ضحايا الحادث أول ما لفت نظري مختار الذي لم يصل عمره الرابعة بعد جالساً الى جوار أبيه غالب محمد أحمد مربوط الرأس والأب مصاب بكسر في يده.

كانوا ثمانية في سيارة البيجوت المسافرة من تعز الى صنعاء وتوقفت في السوق. خرج غالب لشراء الماء لطفله الأصم وما إن عاد مع مجموعة من الركاب وجلس في مقعد السيارة الخلفي حتى داهمتهم الفاجعة. أيضاً ليس مباشرة، بل لامس طرف المقطورة جسم السيارة. أصيب غالب ومختار الصغير وقذف بهما مع الصدمة خارج السيارة عبر زجاجها.

يقول غالب: كان المنظر بعد الحادث أشبه بـ«ملجأ العامرية».. اسعفنا على باص الى المستوصف وأجري لنا اللازم لكن فقدت أوراقاً مهمة من بينها مساعدة من صندوق الرعاية الاجتماعية بخمسمائة دولار لشراء سماعة لابني الأصم.

أين زلط الشريعة؟

علي يحيى المهدي كان في نفس السيارة مع غالب لم يدرك شيئا بعد عودته الى السيارة لتواصل طريقها الى صنعاء كسرت يده ورجله وفقد أكثر من ٢٥٠ الف ريال ومجموعة أوراق مهمة تتعلق باجراءات تقاضي كان ينوي بدءها في إحدى المحاكم في صنعاء.

حسين ناصر الصباري (بائع قات) خرج لشراء أكياس للقات رأى إحدى السيارات الصالون تضرب في الأخرى ولم ير القاطرة صدمته إحدى السيارات المتدافعة حين ذاك وأصيب بكسور وأغمي عليه ولم يفق إلا في المستشفى.

الاشاعات

في الساعات الأولى لوقوع الحادث انتشرت الشائعات وتناولتها وكالات الأنباء العالمية عن ارتفاع عدد الضحايا الى عشرين شخصاً. أما عامة الناس فوصلت تقديرات موتى الحادث عندهم الى سبعين!!!

ويعزي رجال الأمن في مديرية يريم ذلك الى تعدد مصادر التصريح حول الحادث المفجع والمنظر الذي شاهده المسافرون على الطريق حيث كان القتلى، والمصابون باصابات خطيرة في حالة غياب عن الوعي كلهم على الأرض دون حراك. وإذا أضفنا الى الخمسة القتلى (١٤) حالة خطيرة ومعهم من غابوا عن الوعي ولو كانت جراحهم بسيطة نجد أن من السهولة أن يقول العابر أن عدد القتلى يتجاوز العشرين. وغالباً سيعتمد مراسلو وكالات الأنباء على شهود العيان من المسافرين وبعض المصادر الأمنية.

أثر التجمهر

ويرى العقيد/حميد أبو لحوم مدير أمن مديرية يريم ومعه الرائد/قاسم الشعيبي مدير المرور بالمديرية أن هذا ما حدث فعلاً وأن تجمهر المواطنين في مكان الحادث كان له أثر سلبي في هذا الجانب وفي جانب انقاذ المصابين وانتشال الضحايا من بين أكوام الحديد وفتح الطريق الذي اغلقته القاطرة وحاويتها المحملة بالبضائع والمقلوبة في منتصف الطريق.

وقبل الدخول في الكيفية التي واجه بها رجال الأمن وفي مقدمتهم رجال المرور الحادث وكيف تصرفوا من الطبيعي أن نوضح للقارئ كيف وقع الحادث من وجهة نظر السائق ورجال المرور. وماهي أسبابه ولماذا كانت نتائجه فاجعة ومؤلمة الى هذا الحد.

السائق

سائق القاطرة/محمد علي محسن الحمصي (٣٠ سنة - متزوج) الذي التقيته به في مكتب مدير مرور محافظة إب شرح ما حصل والأسى وهول الفاجعة باديان عليه:

«كنت أنزل بالجير مع الهبوط (من النقيل) وفجاة سمعت انفجار هواء.. حاولت أمسك بريك، لكن ما فيش.. حاولت تخفيض السرعة بالجيرات أو اطفاء القاطرة.. فقدت السيطرة على كل شيء ولم انتبه إلا وأنا في الحادث».

سالته ألم تحاول الالتفاف يميناً أو يساراً قبل السوق أو تتجه الى مكان خال.

رد: لم استطع السيطرة وارتبكت ووقع الحادث.

وحين سمع السائق البعض بعد الحادث يتوعدون ويهددون فضل أن يتوجه الى مدينة ذمار القريبة ويسلم نفسه هناك لإدارة المرور. وهذا ما حدث. ردته إدارة ذمار الى يريم لينتقل بعدها الى مرور المحافظة (إب).

حالة القاطرة

العقيد/عبدالكريم علي الإبي رئيس القسم الفني بإدارة مرور محافظة إب فحص القاطرة بعد الحادث وحدد سبب الحادث بالسرعة الزائدة الناتجة عن خلل فني. إضافة الى انحدار الطريق بواقع ٤٠٪ وحمولة كبيرة عالية الوزن في الحاوية. ووجود السوق على الطريق مما يحول المكان الى تجمع سكاني وحركة وزحام سيارات.

ويوضح أكثر.. رأس القاطرة اصطدم بالسيارات والجهة الشمالية منه التي بها معدات (الكمبريشن) من (دباب ومواسير وربلات وقصب) كلها تالفة بينما مؤخرة رأس القاطرة المواسير فيها سليمة.

ومن بين أسباب الحادث برأيه أن الحاوية لم تكن مثبتة على المقطورة. وأن السائق ربما يكون حاول التغيير من جير خفيف الى جير ثقيل حتى يهدئ السرعة لكن تفرغ الجير وفلتت القاطرة وهذا يؤدي الى زيادة سرعتها في وجود منحدر وحمولة ثقيلة.

وبهذا يكون الحادث وقع جراء الخلل في القاطرة مما أدى إلى عدم قدرة السائق على السيطرة وارتباكه في طريق منحدر ينتهي بسوق تقف فيه السيارات العابرة ويتحرك فيه الناس.

ومن بين أسباب الحوادث المرورية كما يشير أكثر من مسئول في المرور ممن التقيناهم على رأسهم العقيد/عبدالعزيز السفياني مدير مرور محافظة إب تجمعات الأسواق على الخطوط الطويلة وقدم الطرق وكونها ذات مسربين وعدم صيانة السيارة بشكل دوري والسرعة الزائدة. إضافة الى الانزلاقات بسبب هطول الأمطار ورطوبة الاسفلت. وعدم توافر اللوحات الارشادية وتدني الوعي المروري.

تكاتف الجهود

التحرك لمواجهة الحادث وانقاذ المصابين وانتشال القتلى وفتح الطريق المسدود بأكوام السيارات تم بسرعة كما أوضح لنا المصابون والأهالي ورجال المرور. وفور استلام مرور يريم لبلاغ الحادث عبر العمليات انتقلت الإدارة مباشرة الى هناك وهناك كانت الكارثة أمامهم كما يقول مدير مرور يريم فتم التواصل مع النجدة والجهات الأمنية الأخرى في يريم ومحافظة ذمار الاقرب. وتم الاستعانة بمعسكر الحرس الجمهوري القريب. كما استنفرت المستشفيات والمستوصفات الحكومية والخاصة وتحركت سيارات الاسعاف لانقاذ الجرحى.

عمل الجميع كخلية نحل واحدة وبسرعة، ولعبت الدوريات الموجودة في الطريق (نجدة ومرور) دوراً كبيراً في سرعة الوصول الى الضحايا واسعافهم.

كما تحرك المواطنون من أهل الخير وبعض أعضاء مجلس النواب من المنطقة وفي مقدمتهم القيادات الأمنية في محافظتي إب وذمار للنجدة وتقديم العون.

وهذا ما أكده لنا مدير أمن مديرية يريم ومدير المرور بالمديرية.

اجراء صائب

هذا الحادث المروري المفجع حرك قضية تحدث عنها رجال الأمن ووسائل الإعلام كثيراً ألا وهي وجود الأسواق على الطرق الطويلة مما يسبب حوادث مرورية ينتج عنها ضحايا بشرية ومادية.

وخلال اجتماع مجلس الوزراء يوم الثلاثاء الماضي استمع المجلس الى تقرير من اللواء الدكتور/رشاد العليمي وزير الداخلية عن الحادث ووقف المجلس أمام الاختناقات التي تشكلها الأسواق الموجودة على قارعة الطريق وما ينجم عنها من زيادة نسبة الحوادث المرورية. وشكل المجلس فريق عمل برئاسة وزير الأشغال العامة والطرق وعضوية كل من وزيري الداخلية والنقل ومحافظي المحافظات المعنية لدراسة كافة الجوانب المتعلقة بهذه المسألة والعمل على ايجاد مخططات جديدة وبديلة لمواقع يتم نقل هذه الأسواق اليها بالإضافة الى ايجاد طرق دائرية حول المدن لتلافي المرور في مواقع الازدحام والعبور لما فيه تحقيق المزيد من السلامة لأرواح المواطنين وممتلكاتهم.

الاجراء المذكور لمجلس الوزراء نقطة جيدة على هذا الطريق والمطلوب البدء في العمل ليس في هذا الجانب فقط، بل في ايجاد حلول لكل ما من شانه وقوع الحوادث المرورية ورفع ضحايا هذه الحوادث وخسائرها المادية.

الرحمة

كما قلنا بداية ليس هذا الحادث المروري الأول ولا هو الأول من هذا النوع وفي هذه المنطقة فالمستشفيات والمستوصفات في كل الجمهورية تستقبل يومياً العشرات من ضحايا الحوادث المرورية. لكن الحادث درس نتعلم منه جميعاً ونعتبر مما جرى. وندعو من خلال هذا التحقيق الصحفي كل المعنيين في جهات الاختصاص الحكومية والسائقين والمواطنين عموماً أن يحرصوا كل من موقعه على أرواحنا جميعاً.

تصوير/عبدالرحيم العقاب

■ من الجامعة إلى وجه القاطرة.

■ مختار ووالده .. صغير أصم يواجه قدره.

■ ذهبت للسؤال فكان القدر.

إجراء مجلس الوزراء لإبعاد الأسواق عن الطرق خطوة صائبة

أسباب الحوادث المرورية متعددة ولا بديل عن التصدي لها

٨ قتلى و١١ مصاباً والشائعات ترجع لهول الحادث

■ السيارة الهيلوكس التي انقلبت عليها الحاوية.

■ احدى سيارات البيجو .. واحدة من عشر داهمتها القاطرة.

■ السوق بعد الحادث وفتح الطريق مباشرة.

تأملات

محمد العريقي

البديل

□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.

□ ويستبشر المواطن خيراً ويقرر الانتظار، وتبدأ كتلة المراجعين تتضخم، ويصبح بجانب باب مكان الاجتماع عشرات المراجعين، وقد ينتهي الاجتماع ظهراً ليخرج المدير وفي حضنه عدد من الملفات التي فيها عشرات الأوراق والمعاملات، ويلمح بصر يهرول باتجاه الدرج والمراجعون يتدافعون خلفه، الكل يصرخ : يا أستاذ هذه ورقتي، ويسبقه آخر ويقف أمامه : وقّع لي المذكرة، وآخر : حوّل لي المعاملة، وتستمر الملاحقة حتى يصعد المدير سيارته ويطبق الباب ويرفع زجاج سيارته ويتحرك ويعطي أملاً للمراجعين بالعودة.

□ والأمر لا يختلف إذا كان المدير داخل مكتبه، فجموع المراجعين يتجمعون أمام باب المكتب الذي يصده في وجوههم بمجرد أن يدخل، ويقوم مدير المكتب بالاستعانة بعسكري غليظ الطباع لاستلام المعاملات وإدخال بعض المراجعين.

□ ويا ليت أن هذا الإجراء نظام عادل، ولكن الأصحاب والمعاريف والموظفون هم الذين يدخلون، والمراجع العادي يعاود الكرّة ليوم أو أكثر .. وإذا سلمت المعاملة لمدير المكتب قد لا تجدها، وإذا وجدتها فإن الإحالة تكون في اتجاه بعيد عن مضمون المراجعة.

□ كل الذي نتمناه، ونحن ننشد الإصلاح الإداري، أن يحدث تطوير حقيقي في اتجاه تخفيف العبء والمعاناة التي يتجرعها المواطن وهو يتابع قضيته في أي وزارة أو مؤسسة أو مصلحة أو هيئة، وعمل حل لمشكلة «المدير أو الموظف الأوحد» الذي لديه كل شيء، وإذا غاب تعطلت مصالح الناس!!

□ لابد من بديل بجانب هذا المسؤول .. بديل فعال يحل ويبدي رأيه، وليس ملء الفراغ في المقعد، كالرديف الذي يوضع على الكرسي للموظف الحاضر الغائب!!

alariky@maktoob.com

□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.
□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.
□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.
□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.
□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.
□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.
□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير المسؤول أو الموظف المختص غائب، وكلما سأل عنه قالوا له : جاء وخرج، أو «ماجاش اليوم»، أو سافر، أو مريض!! .. وإذا كان موجوداً في الوزارة : هو الآن في اجتماع.
□ لا الوزراء ولا نوابهم ووكلائهم يعرفون حجم المعاناة التي يتكبدها المواطن (المراجع) في هذه الوزارة أو تلك عندما يلف ويدور وينتظر ويعود أكثر من مرة، والمدير